الحُسين

سر المجد والخلود

حسن بن موسى الصفار

الحُسين

سر المجد والخلود

2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام

على نبينا محمد وأله الطاهرين

المقدمة

في أيام عاشوراء تعيش المجتمعات الشيعية اجواءً مميزةً ببركة إحياء ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام.

فالنفوس مهيأة للبذل والعطاء، والقلوب نابضة بالحب والولاء، حيث ينخرط أبناء المجتمع من مختلف الطبقات رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا، في المشاركة في البرامج التي تقام لهذه المناسبة، ويتنافسون في تمويلها وخدمتها بشوق واندفاع ذاتي، رغبة في الأجر والثواب، وتفاعلاً مع تضحيات أبي عبدالله الحسين وأنصاره الشهداء.

هذه الأجواء الولائية المميزة، تتيح أفضل الفرص لتعميق القيم السامية في النفوس، ولإيصال الأفكار الواعية إلى الأذهان، ولتعديل توجهات السلوك على الصعيد الفردي والاجتماعي، بما يتطابق مع الخلق القويم.

إن أجواء عاشوراء توفّر أرضية مناسبة لدعم مشاريع التنمية الاجتماعية، والتحفيز لمبادرات التطوع في مختلف المؤسسات والأنشطة الأهلية.

لكن استثمار أجواء هذه المناسبة العظيمة، واغتنام الفرص الواعدة التي تتيحها، يعتمد على وجود المبادرات الواعية، وتصدي الفاعليات والناشطين في الشأن الاجتماعي العام.

من هنا فإني ادعو كل مؤسسة دينية أو ثقافية أو اجتماعية، وكل مهتم بقضايا المجتمع والوطن، إلى التفكير في خطة ومبادرة للاستفادة من بركات عاشوراء، لصالح هذه المؤسسات الخيرية، والتوجهات الإصلاحية الهادفة للارتقاء بالمجتمع، وتعزيز انتمائه الديني والوطني.

وهذه الصفحات المتواضعة بين أيدي القراء الكرام تستهدف لفت الأنظار لأهمية هذه المناسبة العظيمة، والتحفيز للاستفادة منها، بما يرضي الله تعالى وينفع الناس.

وسلام على أبي عبدالله الحسين يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

حسن الصفار

٢٣ شوال ١٤٤٠هـ

٢٦ يونيو ٢٠١٩م

المظالم الكبرى في ذاكرة التاريخ

حفل تاريخ البشرية الطويل بالكثير من المظالم وحالات العدوان، فلا يكاد يخلو عصر من العصور، ولا زمن من الأزمان، من وقوع الظلامات والاعتداءات بين بني البشر.

وتفاوتت هذه المظالم في حجمها، وفي سعة رقعتها وتأثيرها، فقد وقع جانب من هذه المظالم على أفراد، فيما نال قسط آخر جماعات، في حين دفعت أثمانها الباهظة مجتمعات وأمم بأكملها في حالات أخرى.

إن من أبسط ما تسالم عليه العقلاء هو رفض الظلم، فلا يرتضي الإنسان العاقل وقوع الظلم، ذلك يكاد يكون من البديهيات، ومما تحكم به فطرة الإنسان

وتفكيره السوي، علاوة على رفض الشرائع السماوية لارتكاب الظلم بحق الناس أنى كانوا.

الموقف من ظلامات التاريخ

غير أن السؤال الذي يطرح نفسه على طاولة البحث هنا، هو عن ماهية الموقف المناسب إزاء الظلامات التي وقعت في الماضي، وعبر مختلف العصور، سواء تلك التي كانت محدودة التأثير أو كانت واسعة النطاق.فهل من واجب الإنسان أن يكون له موقف من تلك الظلامات؟

أم أن المطلوب تجاهلها وتناسيها، واعتبارها مجرد قضايا عفى عليها الزمن، قد فني المتورطون فيها كما رحل ضحاياها؟

وتبعًا لذلك قد يقول قائل: ما الداعي لأن نجدد ذكر هذه الظلامة أو تلك، وقد تطاول عليها الزمن عبر القرون، وتعاقبت عليها الأجيال؟

فيما قد يتساءل آخر مشككًا: ما جدوى الانشغال في هذا الزمن بتلك القضايا التاريخية، مستدلًا بالآية الكريمة ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

من هنا نشأت الجدلية حول الموقف من الظلامات التي

حصلت في الماضي، والتي تراوحت بين الانشغال أو التجاهل حيال تلك الظلامات.

حقيقة الأمر، يجب أن يكون الموقف من شتى أنواع الظلم والعدوان، الذي يقع على البشر حاسمًا وواضحًا، وضوح الشمس لكل ذي عينين، إذ لا يفترض بأي عاقل التغاضي عن مطلق الظلم والعدوان، في هذا العصر، أو العصور السالفة على حدٍّ سواء، ذلك هو منهج القرآن الكريم، الذي طالما سلط الضوء على مظالم حصلت في التاريخ الماضي، وأحداث جرت على الأجيال السالفة.

القرآن وتوثيق المظالم السابقة

والسؤال هنا: كيف نوفق بين الآية الكريمة ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ وبين آيات أخرى تدعو الإنسان إلى التأمل في سير وأحوال الأمم الغابرة؟

يقول ربنا عزَّ وجلَّ في محكم كتابه العزيز: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]، والآية الكريمة تورد هنا أمراً إلهيًّا صريحًا، بأن يسير الإنسان في الأرض، فينظر في مصير وأحوال الأمم والأقوام السابقين.

كما أن آي الذكر الحكيم تشير بوضوح إلى فائدة ذكر

الأحداث السابقة، لغرض أخذ العظة والعبرة، فقد ورد في الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، وفي آية أخرى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وعلاوة على ذلك، كثيرًا ما نجد القرآن الكريم يخلّد بعض المظالم السابقة، الفردية منها فضلًا عن الجماعية، فقد تناول الكتاب العزيز ظلامة هابيل بن آدم، وسرد تسلسل واقعة العدوان والقتل التي راح ضحيتها على يد أخيه قابيل، ويبدأ الحديث عن الواقعة بأمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يتلو خبرها على الناس، حيث جاء في الآية الكريمة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

لقد تناول القرآن الكريم قضية هابيل في عدة آيات، لا لمجرد سرد حادثة مقتل أخ على يد أخيه، بقدر ما هي تخليد لظلامة عظيمة، راح ضحيتها أحد الصالحين، لتكون درساً تُستلهم منه العبر والعظات.

كذلك تناول ربنا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بالتفصيل قضية معاناة نبي الله يوسف عليه السلام وما لقي من إخوته، وماذا حصل له منذ تغييبه في الجبّ على يد إخوته، ومعاناته في السجن لاحقًا، ثم عفوه عن إخوانه فيما بعد، حتى اعتلائه عرش مصر في نهاية

المطاف، جميع ذلك خلّده القرآن الكريم بالتفصيل في سورة حملت اسم نبي الله يوسف.

وفي ذات السياق خلّدت سورة كريمة ثالثة، هي سورة البروج، ظلامة أخرى جرت على شهداء الأخدود.

إن هذا يظهر بوضوح: أن المنهج القرآني لا يدعو بأي حالٍ إلى تجاهل الأحداث السابقة، ولا يدعو إلى نسيان المظالم التي وقعت في التاريخ الماضي، بخلاف ما فهمه البعض من الآية الكريمة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾.

وهذا ما يدفعنا إلى فهم الآية الكريمة على نحو مختلف، وهي أنها جاءت ضمن سياق ذم الافتخار والتباهي بأمجاد وفضائل الأمم الغابرة، فهذه الأمجاد ليست أمجادكم أنتم، ولن تحسب لكم اليوم بأي حال، إن لم تكن لكم أمجادكم الخاصة.لقد جاءت الآية الكريمة في هذا السياق، وإلا فمنهج القرآن الكريم هو الحديث عن عبر وأحداث التاريخ، لغرض أخذ الدروس منها، كما أن ذلك من سيرة عقلاء البشر، فهم يحتفون ويخلدون المظالم التي جرت عبر تاريخهم.

والسؤال هنا: لماذا يخلّد الناس المظالم التي حصلت في التاريخ؟

في الحقيقة، يعدّ استحضار تلك المظالم دافعًا لتقبيح الظلم في عيون الناس، وتأكيدا على إدانة العدوان، وتحصينًا للمجتمعات عن تكرار مثل تلك المظالم، هذا هو هدف عقلاء البشرية من تخليد المظالم السابقة.

ذكرى هيروشيما

نجد مثلاً كيف أن اليابانيين يحيون ذكرى إلقاء القنبلة الذرية الأولى على مدينة هيروشيما، يوم السادس من أغسطس سنة ١٩٤٥م، تلك المدينة الواسعة التي كان يسكنها مليون وأربع وأربعون ألف نسمة، فأحرقت القنبلة على نحو مباشر مساحة ١٣كم مربع، وراح ضحيتها بين سبعين إلى مئة ألف نسمة منذ اللحظة الأولى، عدا عن آلاف الإصابات والموتى، بسبب الإشعاع الذري الذي تركته تلك القنبلة، وكما هو معروف، ألقى الأمريكيون بعد ذلك بثلاثة أيام قنبلة ذرية ثانية على مدينة ناجازاكي اليابانية، الأمر الذي قاد لاحقًا لاستسلام اليابان لقوات الحلفاء، ونهاية الحرب العالمية الثانية[١].

اللافت أن اليابانيين ومع علاقاتهم الوطيدة بالأمريكان،

(١) الموسوعة العربية العالمية. ج٢٦، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر)، ص٣٢٣.

الذين ضربوا بلادهم بالقنبلة الذرية، لكن ذلك لم يمنعهم من أن يحتفلوا سنوياً بذكرى ضحاياهم، بجانب الأطلال التي خلفتها القنبلة في الميدان الرئيس لمدينة هيروشيما، وأصبح هذا اليوم في اليابان عطلة سنوية رسمية، يتخلله احتفال رسمي وشعبي بذكرى هذه الظلامة التي حصلت.ويأتي المغزى الفعلي للاحتفال بهذه الذكرى المؤلمة، لتوجيه رسالة لأجيال البشرية جيلًا بعد آخر، مفادها بأن الإبادة واستخدام أسلحة الدمار الشامل، كانت وستظل مستقبحة، وأنها لا ينبغي أن تتكرر مرة أخرى في تاريخ البشرية.

هذا النوع من إحياء الظلامة هو منهج عقلائي، يحتفي بالمناسبة على نحو إيجابي، هو أبعد ما يكون عن اجترار وتوارث الأحقاد بينهم وبين الأمريكيين المعاصرين، فهم إنما يحتفون لإدانة الفعل ذاته، وإدانة من اتخذ القرار بإلقاء القنبلة في وقته وعصره.

هولوكوست اليهود

وغير بعيد عنّا كيفية تعاطي اليهود مع ذكرى المحرقة، وأفران الغاز، التي راح ضحيتها مجاميع كبيرة من اليهود على يد النازيين الألمان، بقيادة الزعيم الألماني أدولف هتلر سنة ١٩٤١ و١٩٤٢ والمعروفة بالهولوكوست.فقد ضخم اليهود هذه المأساة الحقيقية، وأعطوا أرقامًا مبالغة للضحايا بلغت الستة ملايين، وهي

أرقام لا يقبلها كثير من العلماء والباحثين، ويصفونها بالتهويل.

غير أن ما يهمنا هنا هو التمعن في كيفية استثمار اليهود لهذه الحادثة، في كسب المزيد من التعاطف الدولي لإيجاد وطن قومي خاص بهم في فلسطين، على حساب أهل الأرض الأصليين، ضمن سلسلة من المطامع التي تقاطعت مع مصالح الإدارات الغربية.

وقد بلغ من أمر الاهتمام بهذه الذكرى أن أصبح مجرد التشكيك في أرقام الضحايا جريمة يحاسب عليها القانون في عدد من الدول، هذا إلى جانب تحديد الأمم المتحدة عام ٢٠٠٥م يوماً عالمياً للاحتفاء بذكرى المحرقة يصادف يوم ٢٧ يناير من كل عام.

إن إحياء ذكرى الهولوكوست، يفترض أن يكون في جوهره إدانة للظلم والعدوان، لكن وفي مفارقة لافتة وجدنا كيف مارس هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم ضحايا لعدوان النازيين، ما هو أبشع مما مارسه النازيون بحقهم.فقد شرّد الإسرائيليون منذ إنشاء دولتهم الغاصبة على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ شعبًا كاملًا من أرضه، وبنوا دولتهم على أنقاضه، بعدما احتلوا أرضه، ومارسوا التنكيل والإبادة الجماعية في حق الشعب الفلسطيني، وذلك ضمن سلسلة متواصلة حتى اليوم، من مشاهد الحرب المفتوحة،

والحصار، والتجويع، والتخويف، والقمع والإرهاب المنظم المدعوم من قبل الدول الغربية، وعلى مرأى ومسمع من العالم.

إحياء الظلامات منهج عقلائي

من هنا يتضح بأن منهج عقلاء العالم ينزع باتجاه تخليد المظالم السابقة في التاريخ، في سبيل تأكيد قبح الظلم، وتحصين النفوس والمجتمعات من تكرار وقوع تلك الفظائع.

هنا تجدر الإشارة، إلى أن الاحتفاء بتلك المناسبات الأليمة، لا يعني الانشغال بالماضي على حساب الحاضر، وليس توارثًا للأحقاد ضد من قاموا بتلك الأفعال، سيما وقد رحلوا عن هذه الحياة وانتهوا، بقدر ما هو إدانة الفعل ذاته، والمنهج الذي خلف مثل هذه الأفعال العدوانية.

إذاً فالموقف المناسب من الظلامات التاريخية، هو موقف الاهتمام بتلك الظلامات، من أجل أخذ الدروس والعبر منها، ومن أجل تأكيد إدانة الظلم والظالمين في كل عصر من العصور؛ لأن الظلم والعدوانية من الجرائم التي لا تسقط بتقادم الزمن، فلا يمكن للظالم أن يتحول إلى قديس وعادل مع مرور الزمن.

فالظالم وإن تطاولت الأيام على ظلمه، وتعاقبت الحقب على عدوانه، سيظل ظالمًا معتديًا، يستحق اللعن من الله ومن

الناس، وآيات القرآن الكريم تزخر بالكثير من الآيات في لعن الظالمين، كقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّـهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[سورة: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٥٢]، ويزداد مقدار اللعن والطرد من رحمة الله بقدر حجم الظلامة، واتساع نطاقها، وأهمية الأشخاص الذين طالتهم؛ فإن عذاب الله وعقابه سبحانه وتعالى على الظالم سيكون أشد وأعظم.

وقد سبقت الإشارة إلى أن هناك لونين من الاهتمام بحوادث التاريخ المؤلمة، أحدهما سلبي، يغرق في التفاصيل، ويرتب آثاراً على حساب مصالح الحاضر، والآخر إيجابي، يُعنى بأخذ الدروس والعبر. فالحديث عن مظالم التاريخ يأتي بهدف التحصين دون تكرارها، ولتأكيد إدانتها والبراءة منها ومن مرتكبيها، وتهويل وقوع وأثر الظلم في النفوس.

ضحايا الرأي

تحدث القرآن الكريم في سورة البروج عن ظلامة تاريخية طالت شهداء الأخدود، الذين قضوا حرقًا على يد أعدائهم، لقاء إيمانهم بالله، وتمسكهم باعتقادهم، حتى آخر لحظة من حياتهم.

فالسورة الكريمة تبدأ بأقسام متعددة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ

* وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ* وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ١-٣]، فالله تعالى يقسم بالسماء ذات البروج، أي ذات الكواكب والنجوم، واليوم الموعود، أي يوم القيامة كما يرى أكثر المفسرين، وهو ما يتوافق مع قسم آخر في آية أخرى ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١].

غير أن آراء المفسرين تضاربت بشأن المقصود من قول الله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، فهناك من ذهب إلى أن الشاهد هو نبينا محمد ﷺ مستشهدًا بقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الفتح: ٨]، فالنبي ﷺ إذًا هو الشاهد، أما «المشهود» فقد قيل هو يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، وقيل هو يوم الجمعة، وفي قول ثالث أنه يوم عرفة، فيما ذهب بعض المفسرين إلى أنه لا يقصد من ذلك شيء بحدّ ذاته، وإنما يقسم الله تعالى بكل من يشهد شيئاً، وبكل شيءٍ يُشهد.

لقد أقسم الله سبحانه وتعالى في آيات عديدة بمختلف الكائنات والمخلوقات، وغرض ذلك حسبما نعتقد لفت أنظار الناس إلى عظمته التي تتجلى من خلال تلك المخلوقات والكائنات، كقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا* وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ [الشمس: ١-٣]، وأقسم بالتين والزيتون، وأقسم بالفجر وليال عشر، وغيرها من الظواهر الطبيعية.

أصحاب الأخدود

وبالعودة إلى مأساة أصحاب الأخدود الذي أوردت الآيات مأساتهم، وجعلت ربنا سبحانه وتعالى يسبق الحديث عنهم بالقسم بآياته، بما يوحي بعظم هذه الحادثة المهمة، فالأخدود هو الحفرة أو الشق الواسع في الأرض، وأصحاب الأخدود، هم الذين شقوا هذا الأخدود في الأرض، وأوقدوا فيه النار.

وتشير النصوص والآثار التاريخية إلى أن هؤلاء القوم حفروا حفرة عميقة في الأرض، وأوقدوا فيها نارًا عظيمة، ثم جاؤوا بالمؤمنين الذين آمنوا بالله سبحانه وتعالى، وعرضوا عليهم أن يتراجعوا عن إيمانهم، أو أن يلاقوا مصيرهم بأن يلقوا في النار، فرفض المؤمنون التراجع عن إيمانهم، والتنازل عن دينهم، فأُلقوا جراء مواقفهم الإيمانية في تلك النار المضطرمة المتقدة، ليلاقوا وجه ربهم.

وقد خلّد الله سبحانه وتعالى هذه الحادثة استنكارًا وإدانة لها، وتحصينًا للمجتمعات عن تكرار أمثالها، وتخليدًا لموقف أولئك المؤمنين الصادقين الثابتين على إيمانهم، فلم يتحدث القرآن الكريم عن تفاصيل مكان وقوع الحادثة، أو من قام بها؛ لأن منهج القرآن في الحديث عن قضايا التاريخ، ينزع باتجاه التركيز على جوهر القضايا، وهذا ما يدعونا للاستفادة من هذا المنهج، من

خلال البعد عن الإغراق في التفاصيل على حساب جوهر القضية محلّ البحث.

فالقرآن لم يتحدث عن تفاصيل حول قضية أصحاب الأخدود، وقد اختلفت أقوال المفسرين والمؤرخين حولها، ولكن من أشهر الآراء في هذا الصدد أن هذه الحادثة وقعت في اليمن، في عهد ذي نواس الذي كان آخر ملوك حمير، فقد تهوّد هذا الملك، أي أصبح يهودياً، وكان في نجران نصارى منذ عهد نبي الله المسيح عيسى بن مريم ﷺ، فغزاهم هذا الملك، وطلب منهم الرجوع عن دينهم فرفضوا، فحفر لهم الأخدود، وحينما أصروا على موقفهم قتلهم وألقاهم في تلك النار المضطرمة المتقدة[1]، لذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾، واختلف المفسرون في مغزى الفعل ﴿قُتِلَ﴾ وما إذا كان متعلقاً بالمقتولين أو القاتلين، فقد ذهب مفسرون إلى أن المقصود هنا هم المقتولون، بمعنى أن الآية تريد الإخبار بنبأ مقتل أصحاب الأخدود، غير أن القول الأرجح هو أن المقصود في الآية هم القاتلون، والمعنى وفقًا لهذا القول بـ ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ أي لعن القوم الذين شقوا هذا الأخدود، فوصفتهم الآية بأصحاب الأخدود، ومما يرجح هذا القول أن الضمائر الأخرى في الآيات التي تلت هذه

(١) ناصر مكارم الشيرازي. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (بيروت: مؤسسة البعثة)، ٢٠/ ٨٦.

الآية، كلها تعود على أولئك القوم ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ يعود على أصحاب الأخدود، وهذا يرجح أن يكون المقصود من ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ يعني الفاعلين والقائمين بذلك الجرم، ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ نار متقدة مضطرمة، وتأتي في ذات السياق الآيتان: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾، أما عن سبب ارتكابهم لهذا الفعل الإجرامي فتجيب الآية الكريمة بالقول: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

إن من أقبح أنواع الظلم أن يتعرض بنو البشر للاضطهاد بسبب آرائهم أو اتجاهاتهم الفكرية، فيتحولون بذلك إلى ضحايا رأي، وفق التعبير الحديث.فمن المفهوم قيام الصراعات نتيجة تضارب المصالح الخاصة، والتنافس على المكاسب، أما ارتكاب الظلم بحق الآخرين نتيجة اعتناقهم لآراء مختلفة، فهذا من أقبح أنواع الظلم.إذ كيف يجيز إنسان لنفسه أن يعاقب آخرين؛ لأن لهم رأياً يختلف عن رأيه، فكما أن لك رأيك فللآخرين آراؤهم، ومن حق الإنسان أن يكون له رأي، وأن يعبر عن رأيه، ولا يصح ولا يجوز أبداً أن يكون هناك اعتداء على إنسان؛ لأن له رأياً مختلفاً أو لأنه عبّر عن رأيه.

من ضحايا الرأي في التاريخ الإسلامي

ومن أسف نقول بأن تاريخ البشرية شهد كثيراً من المظالم

التي طالت ضحايا لم يكن لهم ذنب سوى أن لهم آراء مغايرة. وقد شهد تاريخنا الإسلامي وقائع كثيرة مؤسفة من هذا القبيل، فما هو ذنب الصحابي الجليل المعروف بالعبادة والفضل والورع حجر بن عدي رضوان الله تعالى عليه حتى يقتل صبرًا؟ وما الجريمة التي قتل بسببها؟ هل كان له نزاع على ملك أو على سلطة أو على مكسب؟ فقد أوتي به هو وأصحابه إلى منطقة مرج عذراء، وعُرض عليهم البراءة من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، فمن قبل البراءة أطلق سراحه، وقد أطلق سراح نصفهم بعدما تظاهروا بالبراءة من علي عليه السلام، أما من رفض البراءة كحجر وأصحابه فكان نصيبهم القتل والشهادة، وذلك نزولًا عند أوامر معاوية بن أبي سفيان القاضية بأن يعرض عليهم البراءة من صاحبهم، أي الأمام علي بن أبي طالب، فإن لم يقبلوا تضرب أعناقهم، وبالفعل ضربت أعناقهم ظلماً وقتلوا صبراً، فأثار ذلك احتجاج كثير من المسلمين، حتى أن أم المؤمنين عائشة احتجت على معاوية جراء قتله حجرًا[1].

ويروي ابن كثير في هذا السياق أن معاوية عند احتضاره جعل يغرغر بالموت وهو يقول: (إن يومي بك يا حجر بن عدي

(١) الحافظ بن كثير الدمشقي. البداية والنهاية ج٨ ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص٥٨.

لطويل)[1]، مما يعني أن هذه الحادثة الشنيعة كانت شاخصة أمام بصره وقد ندم على فعلها حتى آخر لحظات احتضاره وموته.

وعلى غرار ما سبق، وقعت أحداث مؤسفة كثيرة، ومنها ما جرى على خُبَيْبَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عند مخالفته الوليد بن عبد الملك لما أراد الأخير إضافة الحُجَر أي بيت رسول الله ﷺ إلى المسجد النبوي الشريف.فقد كان رأي خبيب أن إضافة الحُجَر إلى المسجد ستعني تلقائيًا إلغاء آية من كتاب الله تعالى وهي ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ فأثار ذلك غضب الوليد، فأمر عامله بأن يجلد خبيب مئة سوط، وأن يلقي عليه قربة ماء بارد في يوم قارس البرودة، ونفذ ذلك الأمر بالفعل فمات خبيب في وقته وساعته[2] .

وقد روى لنا التاريخ حوادث جمّة، راح ضحيتها أصحاب رأي، كان كل ذنبهم أن تمسكوا بآرائهم الخاصة.ولعل القرآن الكريم عندما أورد حادثة الأخدود أراد أن يشير إلى أن السبب وراء ذلك لم يكن سوى القمع والعدوان على أصحاب الرأي، وليسلط الضوء على بشاعة الاعتداء على أي صاحب رأي لمجرد تبنيه رأيًا مخالفًا.وقد جاءت المواثيق الحقوقية الدولية وشرعة

(١) البداية والنهاية (مصدر سابق)، ج٨، ص٥٨.

(٢) أحمد بن أبي يعقوب بن وهب الكاتب: تاريخ اليعقوبي.ج٣، ص٢٩.

حقوق الإنسان لتقرر هذه الحقيقة التي قررها القرآن الكريم في إدانة العدوان على أي أحدٍ على أساس رأيه.

فاجعة كربلاء

تعتبر فاجعة كربلاء منعطفاً كبيراً في التاريخ الإسلامي، مع أن أحداثًا كثيرة قد حصلت في تاريخ الأمة، إلا أن تلك الأحداث كانت مشوبة بشبهة الصراع السياسي، والاختلاف على المصالح، والنزاع على المكاسب، وهذا لا يلغي حقيقة أن هناك محقًّا ومبطلاً في جميع هذه الأحداث، فهذا أمر واضح لا يمكن تجاهله أو التنكر له.لكن ما يميز واقعة كربلاء هو تجلي أعلى قمم البشاعة والوحشية التي ارتكبت من قبل جنود بني أمية، ضد عترة رسول الله ﷺ، وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام.

فلا أحد من المسلمين يجهل مكانة الإمام الحسين عليه السلام، لا من الماضين ولا من المعاصرين، وأحاديث رسول الله ﷺ في فضل الحسين ثابتة عند جميع المسلمين، فطالما رأى الأصحاب رسول الله ﷺ وهو يحمل الحسن والحسين على صدره، فيقال له يا رسول الله نعمت المطية، فيقول : « وَنِعْمَ الرَّاكِبَانِ »[1]، وسمعوه

(١) نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: مجمع الزاوئد ومنبع الفوائد، كتاب المناقب، باب فيما اشترك فيه الحسن والحسين (رض) من الفضل، ح ١٥٠٨١.

يقول عنهما: (الحَسَنُ وَ الحُسَيْنُ سَيِّدا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ)[1]، وقد روي عن النبي ﷺ أنه يطيل السجود عندما يمتطي الحسين ظهره فيُسأل فيقول ﷺ: (إِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَاجِلَهُ)[2].

فماذا فعل الحسين حتى يواجه بالقتل على هذا النحو البشع، سوى إعلان رأيه في رفض البيعة ليزيد بن معاوية، وقد قالها صراحة في خطابه للجيش الأموي: «وَإِنْ كُنْتُمْ لِمَقْدَمِي كَارِهِينَ انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ»[3]، لكنهم حاصروه وأصروا على قتله، بتلك الطريقة الشنيعة هو وكوكبة من أهل البيت.فقد قال الحسن البصري: (قُتِلَ مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ سِتَّةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مَا كَانَ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَبِيهٌ)[4]، فلم يكونوا أشخاصًا عاديين، كما لم تكن المسألة داخلة ضمن دائرة الحروب المألوفة، حيث القتال والقتل المتبادل، لينتهي بغلبة جهة معينة وينقضي الأمر، وإنما مارس الجيش الأموي أبشع أنواع التمثيل والوحشية بجسد الإمام الحسين عليه السلام، حيث أوطؤوا الخيول جسده الشريف، حتى كسرت أضلاعه، ومزقت

(١) محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين (رض)، حديث ٣٧٦٨.

(٢) مجمع الزاوئد ومنبع الفوائد (مصدر سابق)، ح ١٥٠٧٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ١٥٨.

(٤) الخوارزمي: مقتل الحسين، ج٢، ص ٧٨.

أشلاءه إنفاذاً لأمر ابن زياد لعمر بن سعد حيث كتب له: (فَإِنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَأَوْطِئِ الْخَيْلَ صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ)[1]، وهجموا على خيام النساء والأطفال وفعلوا ما فعلوا، وكانت فيها زينب بنت أمير المؤمنين وبنت فاطمة الزهراء، ومعها أطفال وأيتام إلى جانب النساء المثكولات في أزواجهن وأبنائهن، بل لم يكتف القتلة بذلك حتى حملوا رأسه الشريف عليه السلام ورؤوس الهداة من أهل بيته وطافوا بها في البلدان.

هذه البشاعة الشديدة هي التي توجب تخليد هذه الظلامة، وأن يحتفى بها كل عام، بل كل يوم، حتى تبقى في ذاكرة الأمة شاهداً على ما أصاب ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله من بلاء، وشاهداً على قبح الظلم والعدوان، وحتى يستفاد منها الدروس والعبر.

إن إحياء هذه الفاجعة لم يكن أمراً من وحي ردود الفعل السياسية والاجتماعية من الشيعة، وإنما كان بتعاليم وتوجيهات من أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم وجهوا شيعتهم لإحياء ذكرى هذه الفاجعة، فقد كان الإمام الرضا عليه السلام يحث شيعته على الاحتفاء بهذه المناسبة، وكان يشجع الشعراء على إنشاء القصائد في هذه المأساة، حتى إنه عليه السلام لم يكن يخفي ألمه وحزنه وبكاءه

(١) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ج ٥ ص ٤١٤.

عندما يستمع لتلك القصائد، كما حدث عندما دخل عليه دعبل الخزاعي وأنشد أمامه قصيدته الرقيقة، التي تناول فيها المآسي والفجائع التي حلّت بأهل البيت، وكان مما قاله دعبل:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلًا
وقد مات عطشانًا بشط فرات
إذن للطمت الخد فاطم عنده
وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي
نجوم سماوات بأرض فلاة

الشهادة الخالدة

أعزّ ما على الإنسان في هذه الحياة، روحه التي بين جنبيه، لذلك فهو يحافظ على حياته، ويبعد أي أذى عن نفسه. والإنسان المؤمن أشدّ حفظاً، وحمايةً لحياته وروحه من غير المؤمن؛ ذلك لأن إيمانه يحمّله مسؤولية الحفاظ على حياته وروحه، فهي أمانة عنده، ولا يجوز له شرعاً أن يفرط في هذه الأمانة، ولهذا حُرّم الانتحار، وإلقاء النفس في التهلكة. كما أن الحياة لها حرمتها، وقدسيتها، ومكانتها في الإسلام، وحالات الاستهتار بالحياة، إنما تحصل عند من لا يعي، ولا يتعقل روح الإسلام، ولا يفهمه فهماً صحيحاً. في حين يفترض في المسلم أن يحافظ على حياته، ويسلك مختلف الطرق من أجل تحقيق ذلك، فواجب عليه حمايتها شرعاً، ولا

يصح له أن يقصّر في وسائل حماية حياته، وحفظ روحه.

أما إذا كانت هناك غاية أهمّ وهدف أسمى وهي خدمة القيم، والحفاظ على المبادئ المقدسة السامية، فهنا تكون المعادلة مختلفة، وهذا يطلق عليه عنوان (في سبيل الله). فحينما تكون المسألة (في سبيل الله)، وتكون قيم الحق معرّضة للخطر، وتحتاج إلى الدفاع، والفداء والتضحية، فإن المعادلة تنقلب عند الإنسان المؤمن، فبعد أن كان يحافظ على حياته ويحمي نفسه، تراه مندفعاً، ومبادراً للدفاع عن هذه المبادئ والقيم، وإذا ما أصيب في معركته من أجل المبادئ والقيم، يطلق عليه الدين مصطلحاً عظيماً هو مصطلح (شهيد).

والشهادة من الشهود، ويعني: الحضور، فهو حاضر وليس غائبًا، وهو شاهد على ساحته، وعلى مجتمعه وعصره. وقد ورد في فضل الشهادة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فوق كل برٍّ برّ حتى يُقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله عز وجل فليس فوقه بر»[1].

وربما يتصور الناس أن الذي يُقتل في سبيل الله خسر الحياة، وانتهت حياته، إلا أن الآية الكريمة تطرح مفهوماً آخر، وهو أن الشهيد بشهادته بدأ حياته الحقيقية، فهو قد كسب الحياة ولم

(١) وسائل الشيعة. ج١٥ ص١٧.

يخسرها، ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، إنهم أحياء عند الله في الحياة البرزخية، فرحين بما آتاهم الله من فضله، وهم أحياء في ضمائر الناس، وفي ذاكرة التاريخ، لأنهم قد ضحوا من أجل القيم، فيصبحون خالدين بخلود تلك القيم، التي ضحوا من أجلها.

وحيث إن الشهداء يتفاوتون في المكانة والمقام بتفاوت شخصياتهم، ومواقف التضحية التي وقفوها، لذلك فإن أبا عبد الله الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيد شباب أهل الجنة، هو في الطليعة من الشهداء، وكما أطلق عليه الأديب المصري المعروف عباس محمود العقاد: عنوان (أبو الشهداء).

سرّ الخلود

وقضية الإمام الحسين عليه السلام نموذج بارز لخلود الشهداء في سبيل الله، فمع مرور العصور والأجيال والأزمنة، إلا أن قضيّة الحسين عليه السلام تتجدد دائماً وأبداً.

وربما يكون هناك تساؤل: لماذا هذا الاهتمام المميّز بعاشوراء وبقضية الإمام الحسين عليه السلام؟ رغم أن هناك حوادث كثيرة حصلت في التاريخ الإسلامي والإنساني؟ وكثيرون قد استشهدوا في سبيل الله، فهذا أبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان

شهيداً في سبيل الله وفي محراب صلاته فلماذا هذا التميّز في قضية أبي عبد الله الحسين عليه السلام؟

نريد أن نسلط الأضواء على سرّ هذا الخلود، وسرّ هذا الاهتمام:

أولاً: العناية الإلهية

يمكننا أن نقول بكل ثقة إن هناك عناية إلهية خاصة بقضية أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهذا ليس تحليلاً أو ادّعاءً، إنما هذا ما نلمسه من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنها الحادثة الوحيدة التي اهتم بها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبدى التألم والتفجع لها قبل وقوعها بنصف قرن، ولو تأمل كل مسلم في الأحاديث الواردة عن اهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله بقضية شهادة سبطه أبي عبد الله الحسين عليه السلام، لأدرك هذه الحقيقة.

وهذه الأحاديث موجودة في مصادر المسلمين، فينبغي أن نقف عندها وقفة تأمل، فرسول الله صلى الله عليه وآله ليس إنساناً عادياً ينطلق من عاطفةٍ محضة، وبهذه الطريقة التي لا يقوم بها الأشخاص العاديون من البشر، فالأشخاص العاديون يتألمون حينما يصاب وليد لهم وقت إصابته، أما قبل إصابته بخمسين سنة، هذا لم يحدث لأي إنسان من البشر، إلا أنه حصل من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهي أحاديث أكدّ العلماء صحتها سنداً، ومنها ما أورده الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرك على الصحيحين بسنده: «عن أم الفضل بنت الحارث: أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، رأيت الليلة حلمًا منكرًا، قال: «ما هو؟» قالت: إنه شديد، قال: «ما هو؟» قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري؟ فقال رسول الله ﷺ : «رأيت خيراً ، تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك». فولدت فاطمة عليها السلام الحسين عليه السلام وكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ، فدخلت يوماً إلى رسول الله ﷺ فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع، قالت: فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، ما لك؟! قال: «أتاني جبرئيل عليه السلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا، فقلت: هذا! فقال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء»[1].

قال الحاكم النسيابوري: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ونقل هذا الحديث وصححه أيضاً الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، وقال هذا سنده صحيح، وله شواهد عديدة، ثم ذكر من الشواهد، بسنده عن أم المؤمنين أم سلمة

(١) المستدرك على الصحيحين. ج٣، ص١٩٤، حديث ٤٨١٨.

وعن أم المؤمنين عائشة قال دخل رسول الله ﷺ على أحدهما وقال لها: «لقد دخل عليَّ البيت ملك لم يدخل عليَّ فيها فقال لي: إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء»[1]. وذكر الألباني شواهد أخرى أيضًا تؤكد صحة هذا الحديث.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن نجي وكان صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «أنه سار مع علي عليه السلام وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى علي عليه السلام: اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله بشط الفرات. قلت: وماذا؟ قال: دخلت علي النبي ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله، أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل قبل، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات، قال: فقال هل لك إلى أن أشمك من تربته؟ قال: قلت: نعم، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا»[2]، هذا ما ينقله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله ﷺ.

(١) محمد ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج٢، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، (بيروت: المكتب الإسلامي)، ص٤٨٥، حديث٨٢٢.

(٢) أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج١، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، (بيروت: عالم الكتب)، ص٢٦٤، حديث ٦٤٨.

وهناك عدد وفير من الروايات في مختلف كتب الحديث والتاريخ تنقل مثل هذا المشهد عن رسول الله ﷺ، أنه يتحدث عمّا سيجري على سبطه الحسين، ويبدي حزنه وتألمه لما سيقع عليه بعد أكثر من نصف قرن، حيث كانت ولادة الحسين في السنة الرابعة للهجرة أو الثالثة، وشهادته مطلع سنة إحدى وستين، حتى أصبحت القضية مشهورة معروفة في أوساط البيت النبوي، ومن حوله من الأصحاب، كما أورد الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: ما كنا نشك وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن علي يقتل بالطف[1].

إن أكثر أمهات المؤمنين لاحظن هذا المشهد من رسول الله ﷺ، وكذلك عدد من الأصحاب، يقول الشوكاني في (دّر السحابة في مناقب القرابة والصحابة) بعد أن نقل بعض الأحاديث في الموضوع: (وأخرج نحو هذه الأحاديث (الطبراني) من حديث أم سلمة، وابن سعد من حديث عائشة، و(الطبراني) في (الكبير) من حديث زينب بنت جحش و(أحمد) و(أبو يعلى)، و(ابن سعد)، و(الطبراني) في (الكبير) من حديث علي، و(الطبراني) في (الكبير) أيضاً من حديث أبي أمامة، و(الطبراني) في (الكبير) من حديث أنس، و(الطبراني) في (الكبير) أيضاً من حديث أم

(١) المستدرك على الصحيحين. ج٣، ص١٩٧، حديث ٤٨٢٦.

سلمة وأبي سعد، و(الطبراني) في (الكبير) من حديث عائشة، و(ابن عساكر) من حديث زينب أم المؤمنين، و(ابن عساكر) من حديث أم الفضل بنت الحارث، زوج العباس. فكانت القضية معروفة وواضحة، فما هو تفسير بكاء رسول الله ﷺ وتحدثه عن هذا الأمر أمام زوجاته وأصحابه، لحادثة لم تقع بعد، ثم ينقل لنا الاهتمام الإلهي بها؟ هذا دليل على أن المسألة ليست مسألة عادية، ودليل على أن رسول الله ﷺ يريد أن يلفت الأمة إلى أهمية هذه الحادثة، وأن لا يتعامل معها كأي حادثة أخرى.

وإذا أضفنا إلى ذلك ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من الاهتمام بهذه الحادثة بعد وقوعها، وهم أئمة عظام، يبجّلهم كل المسلمين، ونحن الشيعة لنا معتقدنا الخاص فيهم كأئمة، فماذا نفعل إذا وجدنا هؤلاء الأئمة كلهم في حياتهم يتذكرون ما حصل للإمام الحسين عليه السلام؟ ويأمرون الناس أن يهتموا لهذه الحادثة، وألّا يمروا عليها مرورًا سريعًا؟ إن هذا سبب مهم من أسباب تخليد هذه الحادثة، والاهتمام بها.

ثانياً: عظمة شخصية الحسين

شخصية الإمام الحسين عليه السلام لم تكن شخصية عادية، ولا أحد من المسلمين ينكر مكانته، ومحبة رسول الله ﷺ البالغة له ولأخيه الإمام الحسن عليه السلام، وهناك أحاديث صحيحة وثابتة ترويها

كتب المسلمين عامة، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[1]، والأحاديث الواردة في فضل الإمام الحسين عليه السلام موجودة في كتب الفضائل من كتب الحديث من الصحاح والمسانيد، ومنها أن رسول الله ﷺ قال: «حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسينًا، حسين سبط من الأسباط»[2].

والأحاديث كثيرة ومتكررة وبصيغ مختلفة وفي مختلف المصادر الإسلامية، ولذلك كان الصحابة يجلّون الإمام الحسين. وورد أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يخطب على المنبر فدخل الإمام الحسين عليه السلام المسجد وكان صغيراً في السن حتى وصل إلى المنبر وصعد وخاطب الخليفة عمر قائلاً: انزل عن منبر أبي واصعد منبر أبيك، فقال: إن أبي لم يكن له منبر، قال الحسين عليه السلام: فأقعدني معه، فلما نزل ذهب بي إلى منزله فقال: أي بني، من علمك هذا؟ قلت: ما علمنيه أحد، فقال: أي بني! لو جعلت تأتينا وتغشانا، قال: فجئت يومًا وهو خالٍ بمعاوية وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت، فلقيني بعد فقال: يا بني! لم أرك أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خالٍ بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر! إنما أنبت في رؤوسنا ما

(١) المستدرك على الصحيحين. ج٣، ص١٨٢، حديث٤٧٧٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٩٤، حديث٤٨٢٠.

ترى الله ثم أنتم ووضع يده على رأسه»[1].

وهكذا بقية الصحابة، فعبد الله بن عباس ـ حبر الأمة ـ كان إذا خرج الحسن أو الحسين يسوي لهما الركاب ويقدم لهما الدابة، قيل له: أنت أسنّ منهما تمسك لهما بالركاب؟ فقال: يا لُكَعْ! وما تدري من هذان؟ هذان ابنا رسول الله ﷺ أوَليس مما أنعم الله عليَّ به أن أمسك لهما وأسوي عليهما»[2]. والصحابي أبو هريرة كان يشارك في تشييع جنازة امرأة فجئ بجنازة رجل فجعله بينه وبين المرأة فصلى عليهما، وأعيا الحسين عليه السلام فقعد في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فقال الحسين عليه السلام: أتفعل هذا؟! قال أبو هريرة: دعني منك، فوالله لو علم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم»[3].

فالحسين عليه السلام ليس شخصية عادية، وحينما يتخذ موقفاً، لا بدّ وأن يكون محل اهتمام من كل المسلمين، ومن جميع الأجيال.

ثالثاً: أهداف الحركة الحسينية

ما هو الهدف في حركة الإمام الحسين عليه السلام؟ أما كان في وسعه أن يسالم ويهادن ويبايع يزيد بن معاوية، حتى لا تحصل هذه الحادثة؟

(١) كنز العمال ج١٣ ص٦٥٤، حديث ٣٧٦٦٢.

(٢) بحار الأنوار. ج٤٣، ص٣١٩.

(٣) ابن عساكر. ترجمة الإمام الحسين بن علي. ص١٤٩، حديث١٩١..

أجاب العلماء والمحققون عن هذا السؤال: بأنه لم يكن بوسع الإمام الحسين عليه السلام أن يفعل ذلك؛ لأن مسالمة يزيد ومبايعته كانت تعني الموافقة على انحراف خطير قد حصل في واقع الأمة، فكان لا بدّ وأن يسجل الحسين الاعتراض، وأن يأخذ موقفاً، حتى تعرف الأمة أن ما حدث يعتبر انحرافاً خطيراً، وممن كتب عن هذا الانحراف الخطير، الشيخ أبو الأعلى المودودي، العالم الإسلامي الكبير مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان، له كتب كثيرة منها كتيب صغير طبع في مصر عنوانه (لماذا استشهد الإمام الحسين؟) في هذا الكتيب يقرر أن انحرافاً خطيراً قد حصل في واقع الأمة، فالخلافة الراشدة التي انتهت بمقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بدأ بعدها الملك العضوض، ومع مجيء يزيد بن معاوية كان هذا التحول الخطير قد أخذ مداه، فقد بدا وكأنه يترسّخ في واقع الأمة، بأن يأتي شخص ويحكم المسلمين دون رضاً منهم، ودون موافقة، وإنما عبر التوريث الذي لم يكن عند الخلفاء السابقين، وليس مقبولاً عند الأمة، ثم تفرض سلطته على الناس بالنار والحديد، وبعد ذلك فهو يتعامل في الأمة تعاملاً جائراً، ولا يلتزم بتعاليم الإسلام في العدل والتشاور وحرية الرأي واحترام قيم الأمة ومقدساتها، هذا انحراف خطير، لا يصح السكوت عنه، بل لا بدّ من تسجيل موقف تجاه هذا الانحراف، ومن أولى بأبي عبد الله الحسين عليه السلام من اتخاذ هذا

الموقف، كما قال عليه السلام: « أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من رأى سلطانًا جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيئ، أحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله وأنا أحقّ من غيّر»[1].

وقد وطّن الإمام الحسين عليه السلام نفسه على أن يضحي بها في سبيل الله، من أجل أن يسجّل هذا الموقف الاعتراضي.

بالطبع فإن الإمام الحسين عليه السلام لم يتحرك من أجل الحرب والقتال، وقد تحدث مع الجيش الأموي أكثر من مرة قائلاً: «إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت على رسلكم، أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم»[2]. ولكنهم أصرّوا عليه، بأن لا مجال، إما أن تنزل على حكم يزيد بن معاوية،

(١) تحف العقول، ص٥٠٥.

(٢) تاريخ الطبري ج٤ ص٣٠٣.

وتبايعه، أو نناجزك القتال، فهنا لم يجد الإمام الحسين عليه السلام بدًّا من أن يعانق الشهادة، ويضحي بنفسه في سبيل قيمه، وفي سبيل أن يوضح للأمة وللأجيال القادمة، إن هذا الانحراف الخطير ليس مقبولاً، ولا يصح السكوت عنه.

رابعاً: وحشية الجيش الأموي

إن أحد أسباب خلود هذه الحادثة هي الطريقة المأساوية التي قُتل بها الإمام الحسين عليه السلام، فهي لم تكن مجرد معركة يقتل فيها رجال من الطرفين، وإنما مارس جيش يزيد أفظع الأساليب للتمثيل والتنكيل والإيذاء بعترة رسول الله صلى الله عليه وآله، والخطاب الذي جاء من ابن زياد لابن سعد دليلٌ على ذلك حيث كتب إليه آمراً له: «فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل حسين فأوطِ الخيل صدره وظهره فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم»[1].

فالمسألة لم تكن مجرد قتل عادي. وبعد المعركة ما فُعل بأسرة الحسين عليه السلام وعائلته من فظائع ومصائب، بحيث لا يمكن لمسلم أن يقرأ ما حصل على أهل البيت عليهم السلام في كربلاء، وأن يطّلع على تلك المأساة فلا يرق قلبه، ولا تنهمر دموعه، ولا يتألم ويتحسر ويبكي. ولذلك فإن البكاء على الإمام الحسين عليه السلام حينما

(١) المصدر نفسه. ص٣١٤.

تذكر حادثته أمر عفوي، وطبيعة وجدانية، لا يملك الإنسان سبيلاً لدفعه، إضافة إلى أن البكاء عليه كما ورد في روايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام يعني الإسهام في تخليد هذه الحادثة، كي لا تُنسى، ولا يعتّم عليها، ولا تُهمل في التاريخ، كسائر الحوادث.

مجالس عاشوراء للمعرفة والإرشاد

من نِعم الله تعالى على مجتمعنا الإقبال على إحياء المناسبات الدينية، فهي زاخرة بمختلف البرامج النافعة المحركة للأجواء الثقافية والاجتماعية، وأبرز برنامج في هذا الموسم العظيم هو المجلس الحسيني، حيث يجتمع الناس ليستفيدوا مما يُطرح عليهم من أمور دينهم ودنياهم.

هذه المجالس الحسينية إلى جانب البرامج العاشورائية الأخرى، كالمواكب والتمثيل والأنشطة الفنية المختلفة، كلها تعود بالنفع والخير على المجتمع، حيث تقوّي وتعزّز التزامه الديني، وتوثق العلاقة والصلة بين أفراد المجتمع وشرائحه.

إنّ مشاركة الناس في مجتمعاتنا الشيعية في هذه المجالس أمرٌ يُلفت النظر!

كيف يحتشد الناس بهذه الأعداد الهائلة بدافع ذاتي؟!

وكيف يقبلون على هذه المجالس ولمدة عشرة أيام، ومن مختلف شرائحهم وطبقاتهم ومستوياتهم؟!

هذا مكسب عظيم يمثل فرصة إيجابية مهمة لتقوية المجتمع وتنميته، إنْ أحسنَّا الاستفادة من هذه البرامج.

والسؤال المهم هنا: كيف نستثمر هذه المجالس، على الصعيدين الفردي والاجتماعي؟

يمكن الإشارة إلى عدة أمور مهمة:

أولاً: الحرص على حضور هذه المجالس

إنّ توفر وسائل التواصل والإعلام لمتابعة هذه المجالس لا ينبغي أن يكون بديلًا عن الحضور الشخصي.

صحيح أنّ هناك بثًّا مباشرًا لبعض المجالس، وهناك فضائيات تنقل كثيرًا من المجالس على المستوى العالمي، وليس على المستوى المحلي فقط، ولكن الحضور في حدّ ذاته أمر مطلوب؛ لأنه يمثل مظهرًا لإحياء هذه الشعيرة، فلو بقي معظم الناس في

بيوتهم يتابعون برامج عاشوراء عبر الوسائل المختلفة، فإنّ ظهور هذا الإحياء سيكون خافتًا وضعيفًا، وهذا أمر غير إيجابي في تربية أبنائنا وأجيالنا على الالتزام بانتمائهم الديني والولائي، ولذلك ينبغي الحضور في المجالس وعدم الاكتفاء بالمتابعة عن بُعد.

ثانياً: الاستفادة المعرفية الثقافية

على كلّ فرد أن يفكر في الاستفادة الشخصية من هذه الموائد الثقافية، فهي فرصة من فرص الخير، لا يكفي أنْ يحضر الإنسان هذه المجالس بدافع تعبّدي، من أجل الثواب فقط، فمقدار الثواب يتحدد بمستوى الفائدة التي يكسبها من المجلس.

لا شك أنّ أصل الحضور فيه ثواب، وكلما كانت الاستفادة من هذه المجالس أكثر كان الثواب أكبر، بمستوى التفاعل والاستفادة من هذه المجالس.

والاستفادة لها ألوان، من أبرزها الاستفادة المعرفية، فقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تَذاكُرُ العِلمِ ساعَةً خَيرٌ مِن قِيامِ لَيلَةٍ»[1].

فهذه المحاضرات والخطب زاخرة بالعلم والمعرفة، وإن

(١) الشيخ المفيد: الاختصاص، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للطباعة) ص ٢٣٩.

كان في المجمل قد تكون هناك ملاحظات على بعض الخطب أو بعض الخطباء، فهناك في الساحة ولله الحمد مَن ارتقى بأسلوب الخطابة، وبالمواضيع النوعية التي تطرح، لذلك ينبغي للإنسان أن يذهب إلى هذه المجالس بِنِية الاستفادة منها، وعليه أن يختار من بينها المجلس الذي يستفيد منه وينتفع به أكثر، وهذا يعني أن ينتبه لما يُطرح.

ما هي الفكرة التي يطرحها الخطيب؟

ما هي الرسالة التي يريد إيصالها من خطابته؟

البعض قد يجلس ويستمع، لكنه لا يركز، لا يحاول أن يتأمل وأن يهتم بمعرفة ما يريد الخطيب قوله، لذلك يمكن تُلفِت نظره نكتة قالها الخطيب أو قصة أوردها على سبيل الاستشهاد، أما الفكرة الأساسية التي يريد الخطيب عرضها، قد لا يهتم بالتركيز عليها، ومن أجل أن يستفيد الإنسان معرفيًّا، عليه أن يتابع الفكرة التي يسمعها، ويقيمها في تفكيره حتى بعد المجلس.

يمكنك أن تناقشها مع نفسك ومع الآخرين، وقد تحتاج الفكرة إلى إثراء وإشباع.

بعض الأشخاص حينما يستمع محاضرة تثير في ذهنه استفهامًا، تثير سؤالًا واهتمامًا، وهذه هي من أهم المحاضرات،

المحاضرة التي تدفعك إلى التفكير، التي تدفعك إلى السؤال والبحث، لعلّ البعض من الناس يُعجبُه أن يجد وجبة جاهزة، يأخذ فكرة جاهزة وكفى.

لكن الأفضل أن تكون المحاضرة دافعًا لك للبحث حتى تعمق الفكرة وتتضح أمامك الصورة، كما يمكن أن تُدوّرها فيمن حولك؛ لأنّ زكاة العلم نشره، وقد أصبحت وسائل النشر متاحة للجميع، بإمكان الإنسان حينما يسمع فكرة أن يبعثها إلى الآخرين عبر رسالة أو تغريدة، عبر أيّ طريقة من الطرق، فَيُفَعِّل الفكرة ويُسهِم في نشر المعرفة ونشر الهدى في أوساط الناس.

ألم يَقُل الله تعالى وهو يُلهِمُنا هذا التطلّع: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾، الإنسان ينبغي أن يتطلّع إلى زيادة علمه ومعرفته، وهذه المجالس وسيلة من وسائل زيادة العلم والمعرفة.

نصوص كثيرة تؤكد أهمية المعرفة والوعي، من هنا على الإنسان أن يحرص في هذا الموسم المميز على الاستزادة من العلم والمعرفة، فهي فرصة ينبغي استثمارها.

أين تجد في أيّ مجتمع من المجتمعات كثافة هذه المجالس والمحاضرات؟!!

قد لا نبالغ إذا قلنا إنّ في منطقتنا ألف مجلس تقريبًا في كلّ

يوم من أيام عاشوراء، ليلًا ونهارًا، نساءً ورجالًا، ألف محاضرة هذه بإمكانها أن تخلُق تموُّجًا معرفيًّا في المجتمع إذا أُحسِن الاستفادة منها.

ثالثاً: المشاركة الفاعلة

على كلّ واحدٍ من أبناء المجتمع أن يجد له دورًا في خدمة هذه المجالس والبرامج العاشورائية، فلا يكون مستهلكًا أو متفرجًا فقط، فهذه البرامج تُقام بِجُهدٍ أهلي، وقوتها تُرسِّخ حالة العمل الأهلي والتطوع الذاتي في أبناء المجتمع.

لذلك ينبغي لكلّ إنسان أن يجد له طريقًا للمشاركة في هذه المجالس، بشيءٍ من وقته أو ماله أو جهده.

أن تدعو أقرباءك، أن تدعو الآخرين وتحفزهم على الحضور، أو تصرف شيئًا من مالك، أو تشارك في إدارة هذه المجالس وحُسن جريان أمورها.

إذا كانت هناك ملاحظة أو نقص أو خلل، فإنّ ذلك يحتاج إلى مبادرة للتطوير والإصلاح، ومع وجود المبادرات الإيجابية في هذا المجال، نأمل أن تتوسع هذه الحالة، وأن تتعمق في المجتمع.

رابعًا: الاستعداد للتفاعل الروحي والسلوكي

يقول الله تعالى: ﴿الَّذينَ يَستَمِعونَ القَولَ فَيَتَّبِعونَ أَحسَنَهُ﴾.

حينما تستمع محاضرة تناقش موضوعًا سلوكيًّا أو اجتماعيًّا، فَكِّر كيف تستفيدُ مما سَمِعت.

بالتأكيد لو أنّ أكثر الناس يحرصون على الاستفادة العملية مما يسمعون من هذه المجالس، لأصبحنا في كلّ عام بعد الموسم في حال أفضل من الناحية السلوكية، والاجتماعية العامة، وهذا ما ينبغي التركيز عليه.

حينما تستمع للخطيب وهو يتحدث عن حُسن التربية، راجع نفسك، هل أنت تقوم بواجب التربية تجاه أبنائك بالوجه الصحيح؟

هل فيما قاله الخطيب ما يدفعك لتصحيح شيء من تعاملك مع أبنائك؟

حينما يتحدث الخطيب عن العائلة أو العلاقة مع الجيران والناس بشكل عام، فكِّر فيما يرتبط بك، هذا الكلام موجه إليك أنت، فينبغي للإنسان أن يستفيد عمليًّا، وليس فقط معرفيًّا من حضوره في هذه المجالس.

عليك أن تتفحّص نفسك، ماذا أستفيد من هذه المحاضرة،

ماذا أستفيد من هذه الموعظة، حتى يخرج الإنسان من كلّ مجلس بفائدة عملية، علي عليه السلام فيما روي عنه يقول: «العلم يَهتِفُ بِالعَمل، فَإن أجابَ وَإلّا ارتَحَل»[1].

وكان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أَعوذُ بكَ مِن عِلمٍ لا يَنفَع»[2].

حينما تسمع عِلمًا، معرفة، فكرة تُقدّم إليك، عليك أن تستفيد منها، لكن في بعض الأحيان يضع الإنسان بينه وبين الموعظة حواجب وحواجز، يفكر أن الموعظة تعني غيره، وأنّ الكلام مُوجَّه لِسِواه، وأنّ ظرفه يختلف عن هذا الكلام، يحاول أن يبرّر لنفسه، وهذا من الجهل، علي عليه السلام يقول فيما روي عنه: «الجاهلُ لا يَرتَدِع وبِالمواعِظِ لا يَنتَفِع»[3].

خامساً: تأكيد وتوثيق الصلات الاجتماعية

يقول الإمام علي : «عليكم بالتواصل والتباذل وإيّاكم والتدابر والتقاطع»[4].

---

(١) نهج البلاغة، حكم رقم ٣٦٦.

(٢) المصباح للكفعمي،١/ ٢٩٩، المستدرك على الصحيحين: ١/ ٧١٦/ ١٩٥٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ٢٤/ ٤٤٨.

(٤) نهج البلاغة، ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليه السلام – لما

في حضورك لهذه المجالس فكِّر في أن تكسب أصدقاء جددًا، وأن تُوَثّق علاقتك بآخرين من أبناء مجتمعك لم تكن لك بهم علاقة في السابق، أو لم تكن علاقتك بهم وثيقة، وهذا من فوائد هذه المجالس.

تتجلى هذه الفائدة بصورة أكثر في المؤمنين المقيمين في مناطق بعيدة نائية، طالب مبتعث في مكان، موظف منتدب، إنسان ذاهب إلى بلد لعمل، يأتي موسم عاشوراء فيبحث عن مجلس، فيكون حضوره سببًا في تَعرُّفِه على إخوانه المؤمنين هناك، وفي مناطقنا أيضًا، علينا أن نستفيد هذه الفائدة، نُوَثّق علاقتنا مع مَن نعرف، ونتعرف على من لم نتعرف عليه سابقًا.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «استكْثِروا مِن الإخوانِ؛ فإنَّ لكلِّ مؤمنٍ شَفاعةً يومَ القيامةِ»[1].

وورد عن لُقْمَانَ أنه قال لابْنِه: «يَا بُنَيَّ، اتَّخِذْ أَلْفَ صَدِيقٍ، فَإِنَّهُ قَلِيلٌ، وَلا تَتَّخِذَنَّ عَدُوًّا، فَإِنَّهُ كَثِيرٌ»[2].

وعن الإمام علي عليه السلام: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ

ضربه ابن ملجم، رقم ٤٧.

(١) كنز العمّال: ٩/ ٤/ ٢٤٦٤٢.

(٢) الشيخ الصدوق: الأمالي: ٧٦٦/ ١٠٣٢.

الْإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ»[1].

وعنه عليه السلام: «المَرءُ كثيرٌ بأخيهِ»[2].

وعن الإمام الصّادقُ عليه السلام: «مَن لَم يَرغَبْ في الاستِكْثارِ مِن الإخوانِ ابتُلِيَ بالخُسْرانِ»[3].

(١) عيون الحكم والمواعظ: ١/ ١٢٦/ ٢٨٦٧.

(٢) بحار الأنوار: ٢١/ ٥٧/ ٨.

(٣) بحار الأنوار: ٧٨/ ٢٣٢/ ٣٢.

استثمار عاشوراء لتقدم المجتمع

في مقابل السياسات الأموية والعباسية القائمة على تهميش دور أهل البيت في الأمة، وعلى محاصرتهم والتعتيم على فضائلهم ومعارفهم، وإخفاء ما يجري بحقّهم من ضغوط وتضييق، في مقابل هذه السياسة، وجّه أهل البيت عليهم السلام شيعتهم، بأن يتوارثوا ويشيعوا في أوساطهم إحياء ذكر أهل البيت، وإحياء أمرهم، لإفشال السياسة الأموية ضدهم.ولكي يبقى ذكرهم غضًّا طريًا، ولكي تنتشر معارفهم، ففي انتشارها فائدة للأمة، وقد أورد الحرّ العاملي في وسائل الشيعة عن الأمالي وعيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، عن الإمام علي الرضا عليه السلام

أنه قال: «مَنْ تَذَكَّرَ مُصَابَنَا فَبَكَى وَأَبْكَى لَمْ تَبْكِ عَيْنُهُ يَوْمَ تَبْكِي الْعُيُونُ، وَمَنْ جَلَسَ مَجْلِساً يُحْيَى فِيهِ أَمْرُنَا لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ»[1]. هذا النصّ هو واحد من النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام التي توجّه شيعتهم لإحياء ذكرهم: «من تذكّر مصابنا»، ما معنى ذلك؟

يعني الرفض للإهانة والظلم الذي وقع بحقّ أهل البيت عليهم السلام، والتعاطف مع معاناتهم عليهم السلام، وأيضًا استحضار تضحية أهل البيت عليهم السلام حيث دفعوا ثمنًا باهظًا من أجل تلك المبادئ الحقّ التي حملوها، وقد توارثت أجيال الشيعة نهج الاهتمام بإحياء ذكرى أهل البيت عليهم السلام، واستفادت من ذلك أجيال الشيعة من ذلك في حفظ هويتها، حيث كان يمكن أن تتلاشى هذه المدرسة بسبب كثرة الضغوط عليها وشدة المحاربة لها، لكن هذه البرامج التي وضعها أهل البيت لإحياء ذكرهم وقضيتهم، هي التي أحيت وأبقت هذه الهوية قوية صامدة مع كلّ الضغوط وأساليب الحصار، كما أن هذا النهج هو الذي حمى تماسك أبناء هذا المجتمع الموالي لأهل البيت عليهم السلام فأصبحوا قوة متماسكة، كما ساعد على تدوير معارف أهل البيت في أوساطهم؛ لأنّ إحياء هذه المناسبات

(١) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٦٤، ح ٤٨.

مضمونها إحياء سيرة أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم ومعارفهم وأخلاقهم، فالمكاسب عظيمة جدًّا.ومن يحاربون هذه الشعائر من المناوئين لأتباع أهل البيت عليهم السلام إنما يحاربونها؛ لأنهم يدركون أنها مصدر قوة لهذه الطائفة، ومصدر عزّة وحماية لهويتها ومدرستها.وفي المقابل فإن أجيال الموالين لديهم إصرار وتمسّك بهذا النهج، يحيون المناسبة عامًا بعد عام، وعصرًا بعد عصر.

وإذا كان مبدأ إحياء ذكرى أهل البيت عليهم السلام ثابتًا يتفق عليه الشيعة، فإن الوسائل والأساليب قد تكون متجددة متطورة حسب تطور الأجيال والظروف.فالوسائل والخطاب في هذه المناسبة ينبغي أن يكون متفاعلًا مع تطورات الزمن.وحيث يستعد مجتمعنا لإحياء هذه المناسبة ونأمل أن يوفق الله الجميع إلى إحيائها على خير وجه أجد من المهم التذكير بما يلي:

المشاركة الفاعلة في احياء عاشوراء

أولًا: المشاركة الفاعلة من قبل الجميع.هذه المناسبة لا تهمّ فئة من المجتمع فقط، ودور المشاركة فيها لا يختص بشريحة من الشرائح أو بفاعلية من الفعاليات، إنها مناسبة يجب أن يشترك فيها الجميع، وكل واحد من أبناء المجتمع

يجب أن يكون له دور فاعل، وأن يقدم من وقته وجهده وماله وجاهه في إحياء هذه المناسبة؛ لأننا وطبقًا للروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام نعتقد أن أيّ جهدٍ يبذل في هذه المناسبة يقابله ثواب عظيم عند الله تعالى، ويكفينا ما قاله الرضا عليه السلام: « مَنْ جَلَسَ مَجْلِساً يُحْيَى فيهِ امْرُنا لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوت الْقُلُوبُ»[1].

ثانيًا: البذل من المال والوقت والجهد.ونركز هنا على البذل المالي؛ لأن نفقات هذه المناسبة مصادرها أهلية وليست من قبل أيّ حكومة أو سلطة، لهذا يجب أن يكون البذل من الجميع، ولكن لا بُدّ أن نشير إلى مراعاة بعض الضوابط كتجنب الإسراف والتبذير، فبعض الأحيان يصل الأمر في الإطعام إلى ذلك الحدّ المنهي عنه، وهذا ما ينبغي تجنبه.لا يصحّ أبدًا أن يكون هناك إسراف وتبذير، وفي بعض الأحيان قد يلحظ الإنسان أن البذل قد لا يستفاد منه، وقد يصل إلى الإسراف، وهذا منهي عنه في تعاليم الدين.ينبغي الإنفاق وخاصة على البرامج التي لا يلتفت إليها البعض كدعم الفضائيات والقنوات التي تنشر القضية الحسينية بشكل سليم مناسب، ودعم البرامج الهادفة، كبرنامج (التواصل الوطني) وهو دعوات لبعض

(١) عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٦٤، ح ٤٨.

شخصيات من المناطق المختلفة في المملكة حتى يزوروا المنطقة ويطّلعوا على البرامج فيها، وهذا له كلفة ويحتاج تمويلًا يستدعي من المؤمنين رفده.كذلك إقامة دورات لتنمية الخطباء، وورش عمل، وإذا لم يكن ممكنًا في البلد لسبب أو لآخر فلتكن في أماكن أخرى.نلوم الخطباء على عدم التطوّير، لكننا لا نساعدهم، لو أن برنامجًا في الحوزات أو أيّ مكان، دعي له الخطباء على حساب البرنامج ومنحوا مكافأة على ذلك، فسيكون جاذبًا، ومفيدًا، والبذل فيه من أهم مصاديق البذل على الشعائر الحسينية.

المنبر الحسيني وقضايا المجتمع

ثالثًا: الدور الفعّال للمنبر الحسيني في معالجة قضايا المجتمع الحاضرة.نحن نحتاج خطابًا يسلط الأضواء على مشاكل المجتمع، من خلال سيرة أهل البيت، فلا بُدّ من التركيز على الأفكار والمفاهيم التي تساهم في تطوير المجتمع، وأشير هنا إلى ثلاثة أبعاد يحتاج التركيز عليها من قبل المنبر الحسيني المعاصر:

١. دفع الأبناء إلى النجاح في دراستهم.

فهذا يؤسّس مجتمعًا شيعيًّا ناجحًا متفوقًا، ورد عن

الباقر عليه السلام: «إِنِّي لَأُبْغِضُ الرَّجُلَ، أَوْ أُبْغِضُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ كَسْلَانَ عَنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ؛ وَمَنْ كَسِلَ عَنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ، فَهُوَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ أَكْسَلُ»(١).

الدين لا يريد من المتديّنين أن يكونوا مجموعة من الكسالى المتخلفين المحتاجين للآخرين، بل يريد منهم أن يكونوا متفوقين، لذلك ينبغي أن يأخذ المنبر الحسيني بيد أبناء المجتمع نحو النجاح. وهذا ما يسر الإمام الحسين وأهل البيت عليهم السلام، نريد أن يخرج أبناءنا بعد موسم عاشوراء وهم أكثر حماساً للدراسة، وأكثر إصرارًا على التفوق. ولا بُدّ أن أشير هنا إلى أن بعض حالات التسيّب الدراسي التي تحصل في المناسبات الدينية أمر ليس جيّدًا وليس سليمًا. لا ينبغي أن يتغيّب أبناؤنا عن الدراسة إلا فيما تعارف عليه الشيعة في كلّ مكان، كاليوم التاسع والعاشر من المحرم مثلًا.

مؤسف ما نلحظه من تغيّب الطلاب عن مدارسهم من أول يوم من المحرم! وفي جميع الوفيات، حتى على الروايات المختلفة، وهذا خطأ كبير ليس في صالح أبنائنا، البعض يقول هذا تعظيم للشعائر! هل نحن دون بقية الشيعة، في إيران مثلًا هم يعطلون التاسع والعاشر من المحرم فقط؟

(١) الشيخ الكليني: الكافي، ج٥، ص٨٥، ح٤.

أبناء المراجع والمشايخ في قم وكلّ إيران يذهبون للدراسة، فهل أنا أكثر تشيّعًا منهم؟ في العراق أيضًا وفي لبنان والبحرين وكل مكان، كلهم منضبطون في دراستهم، فهل نزايد على كلّ هؤلاء؟ نحن مع الشعائر، ولكن بالانضباط. وكما أخبرت من كثيرين أن المدرسين هم من يشجع الطلاب على الغياب! وبعض الأحيان مدرسون غير شيعة يتابعون المناسبات ويذكرون الطلاب للغياب فيها! لا نُعمّم على كلّ المدرسين، ولكنها حالة موجودة، حتى لو ذهب الطالب فإنه يُعاد يرجع من قبل المدرسة لعدم وجود طلاب وهذا خطأ كبير. يجب أن نشجع الطلاب على التفوق والنجاح، وكذلك الموظفين ورجال الأعمال في كلّ الجوانب. الخطاب المنبري ينبغي أن يكون دافعًا للنجاح.

٢. تنمية المجتمع وتعزيز تضامنه.

ينبغي أن ننمّي مجتمعنا لا أن نركز على الشعائر الدينية فحسب. الصلاة والصوم والحج وكذلك الشعائر الحسينية أمور مطلوبة ومن الواجب الاهتمام والحث عليها، ولكن ينبغي أن يكون مجتمعنا مجتمعًا متقدمًا يحقق التنمية في كلّ المجالات، وأن نحفظ تماسك المجتمع، وأسوأ شيءٍ أن يُستغل المنبر في نشر الخلافات والبغضاء داخل المجتمع الواحد. من حقّ كل شخص أن يكون له رأي وأن يعرض

رأيه، لكن ليس بطريقة اتهام الآخرين وتخوينهم وتسقيطهم، هذا ما نرفضه على صعيد العلاقة بين المذاهب، فكيف نقبله ضمن المذهب الواحد؟ جريمة أن يستغل منبر الحسين للتفريق بين شيعة الحسين، وأن يُسهم في نشر البغضاء بين أتباع ومحبي الإمام عليه السلام، باب الاجتهاد مفتوح واختلاف الرأي مقبول، وينبغي أن يكون اختلافنا تحت إطار المبادئ والقيم الإسلامية.والخطاب المنبري ينبغي أن يؤكّد على الاحترام المتبادل والتعاون وقبول الرأي الآخر داخل المجتمع نفسه ومع المجتمعات الأخرى، هذه هي منهجية أهل البيت عليهم السلام .يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مَا أَنْتُمْ وَالْبَرَاءَةَ يَبْرَأُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ؟»[1].

٣. أن يُسهم المنبر الحسيني في نشر الوعي بالمصالح العامة للأمة وخاصة في هذا الزمن.

نحن جزء من الأمة الإسلامية ومن الشعب الذي ينتمي الى الوطن الذي نعيش فيه، فلا بُدّ أن ننشر الوعي بمصالح الأمة ومصالح الوطن، خاصة ونحن نواجه عواصف من الفتن والتيارات تريد أن تمزق أوطاننا، فالخطاب المنبري يجب أن يكون واعيًا ولا يصب الزيت على النار، بل يأخذ

(١) الكافي، ج٢، ص٤٥، ح ٤.

منهجية أهل البيت عليهم السلام كما قال علي عليه السلام: «لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ»[1].الأئمة كانوا يُصرّون على شيعتهم أن يكونوا هم الأكثر تضحية واستجابة لمصالح الدين والأمة. ومن المناسب أن ندعوَ الآخرين لهذه المجالس الواعية حتى يروا كيف نحيي هذه المناسبة.

عاشوراء موسم مهم، فينبغي استثماره بما يعود على الأمة والوطن بالنفع.

(١) نهج البلاغة، ومن خطبة له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان، خطبة ٧٣.

روح العمل الجمعي في المؤسسات التطوعية

جاء في خطاب الحسين عليه السلام لأصحابه ليلة عاشوراء: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْت أَبَرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا عَنِّي خَيْرًا»[1].

إن فضل أصحاب الحسين عليه السلام ومكانتهم أمرٌ جليٌّ واضح، سجّله التاريخ في أنصع صفحاته، وطالما تحدث عنه الخطباء والشعراء، لكننا نريد أن نقف عند درس من دروس سيرة أنصار الإمام

(١) الشيخ المفيد: الإرشاد، ج٢، ص٩١. ومثله في الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٦٦.

الحسين، ذلك الدرس يرتبط بسلوكهم الداخلي مع بعضهم بعضًا، ذلك أنّ أيّ عمل جمعي كلما كان الأفراد المشاركون فيه أكثر انسجامًا وتفاهمًا فيما بينهم كان عملهم أنجح وأفضل وأبرك.

صحيح أنّ وجود رؤية للعمل ومقصد واضح شيء أساس، لكن التعامل الداخلي بين (أفراد الفريق) حسب التعبير الإداري له أثر كبير.

المؤسسة التي يكون موظفوها ومسؤولوها منسجمين متعاونين متفاهمين تكون مؤسسة أكثر نجاحًا وتقدّمًا.

والأمر نفسه ينطبق على المؤسسات العاملة في المجال الديني، فالتجمع الديني يُفترض فيه أن يتسم بسمات العمل بروح الفريق الواحد.

وحيث يزخر مجتمعنا بأنشطة ومؤسسات اجتماعية متعددة يعمل فيها متطوعون يشاركون بوقتهم وجهدهم ومالهم قربة إلى الله تعالى وخدمة لمجتمعهم، فهذا من المكاسب الكبيرة، لكن السعي إلى تطوير العمل وإنجاحه يتطلب تطوير السلوك الداخلي في التعامل بين هؤلاء الأفراد، حتى تكون المؤسسات أكثر بركة ونجاحًا، ونشير في هذا المجال إلى عدة أمور:

أولًا: رفع مستوى التعاون

بأن يرى كلّ واحد منهم نجاح الآخرين نجاحًا له، حتى يُنجحوا جميعًا أعمالهم التي يقومون بها، أما إذا كانت بينهم حساسيات أو تنافر، أو كان البعض يسعى لعرقلة جهد الآخر، فإنّ المؤسسة تسوء من داخلها، وبالتالي لا تستطيع أن تقوم بدورها.

ثانيًا: التنافس على العطاء الأداء

وذلك في مقابل التنافس على المواقع والمناصب، فإنّ حصول ذلك سيكون على حساب الإنجاز والعطاء، فينبغي أن تسود روح التنافس الإيجابي الذي يقدم العمل ويطوره.

ثالثًا: التحمل والاستيعاب المتبادل

الأفراد العاملون في العمل الجمعي بشر، يخطئ بعضهم على بعض، وقد تكون هناك شائبة في الفهم، أو ظروف نفسية خاصة في وقت ما، تنبعث كلمة من هذا أو تصرف من ذاك، فإذا كان هناك استيعاب وتحمل، فإنّ هؤلاء العاملين يستطيعون التغلب على هذه الهفوات الطبيعية.

إنّ العمل الجمعي والتعامل مع الناس امتحان، كما يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[الفرقان: ٢٠].

هل يتحمل بعضكم بعضًا؟!

بعض الناس لا يمتلك هذه القدرة، ولذلك لا يستطيع الانسجام مع الآخرين، لا يمتلك مهارة العمل الجمعي، يستطيع العمل بمفرده، لكن حينما يعمل مع الآخرين يجد صعوبة في الانسجام، نحن في حاجة إلى التأكيد على أخلاقيات التعاطي داخل الفريق العامل وخاصة في المؤسسات ذات الطابع الخيري الديني الاجتماعي.

مشاكل في مؤسسات دينية

وقد وجدنا مؤسسات دينية تحصل فيها مشاكل فتؤدي إلى تأخرها وعدم قيامها بدورها، وقد تؤدي إلى انهيارها، يحصل ذلك حتى في المساجد.

تحصل في بعض الأحيان نزاعات في مسجد!!

مع أنّ العمل في المسجد هو في إطار صلاة الجماعة (عمل عبادي)!

نعم ..العاملون في هذه المؤسسة الدينية العبادية هم أحوج إلى أن يتمثلوا قيم الدين والأخلاق في تعاملهم الداخلي، حتى يثبتوا جدارتهم في الانتساب لهذا العمل الديني، وحتى

يكونوا قدوة للآخرين، ويتمكن العمل الديني أن يأخذ مداه في المجتمع.

بينما إذا حصلت مشاكل في إدارات المساجد أو إدارات الحسينيات، أو إدارات المواكب العزائية أو الجمعيات أو الأندية أو اللجان المختلفة، فإنّ لذلك تداعيات سلبية على العمل ذاته، وعلى الحالة العامة في المجتمع.

وهنا لا بُدّ من الإشارة إلى الطبيعة البشرية لهؤلاء العاملين، فهم ليسوا ملائكة، ويتوقع منهم الاشتباه والخطأ، ولكن لا ينبغي أن نغفل عن التأكيد على هذه الجوانب وعلى مراعاة أخلاقيات التعامل.

أنصار الحسين قدوة

حينما نتحدث عن أنصار أبي عبد الله الحسين عليه السلام علينا أن نلتفت إلى هذا الجانب.

كيف كانوا فريقًا منسجمًا متجانسًا؟!

إنهم من مناطق وقبائل مختلفة، وفي أعمار مختلفة، فيهم الشيخ الطاعن في السن، والشاب اليافع، والمولى الأسود كجون مولى أبي ذر الغفاري، وفيهم من صميم قبائل العرب وقريش، ومن الكوفة والحجاز ومن مختلف المناطق،

وهناك دراسات حول أصحاب الإمام الحسين تبيّن تصنيف شرائحهم وانتماءاتهم، لكنهم مع ذلك كانوا فريقًا واحدًا منسجمًا، كانوا يؤثرون بعضهم على بعض، ويتنافسون على التضحية، كلّ شخص يريد أن يكون هو أسبق إلى التضحية من الآخر.

بعض الروايات تنقل أنّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام من غير بني هاشم كانوا يصرّون أن يكونوا واجهة المعركة، حفاظًا على أهل البيت عليهم السلام، فيقولون: لا يصاب أحد منهم وفينا عين تطرف، نحن نتقدم في الدفاع عنهم.

في ليلة عاشوراء وبعد أن أخبرهم الإمام الحسين عليه السلام بمصيرهم، وأنّ المصير هو الشهادة والقتل، كانت نفوسهم مطمئنة، لم يصبهم التوتر، بل كانوا يعيشون الاطمئنان والثبات.

روي أنّ حبيب بن مظهّر خرج إلى أصحابه ليلة عاشوراء وهو يضحك، قد غمرته الأفراح بقرب الشهادة فأنكر عليه يزيد بن الحصين التميمي قائلًا:

ما هذه ساعة ضحك؟!

فأجابه حبيب: أيّ موضع أحقّ من هذا بالسرور؟!

والله ما هو إلا أن تميل علينا هذه الطغام بسيوفهم فنعانق الحور العين.

وداعب برير عبد الرحمن الأنصاري فاستغرب منه وقال له:

ما هذه ساعة باطل!!

فأجابه برير: لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل كهلًا ولا شابًّا، ولكني مستبشر بما نحن لاقون.

أنا مستبشر بالشهادة التي ألاقيها.

وكلنا نعرف كيف كان العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام وهو مع شديد عطشه كان يفكر في عطش أخيه الحسين وعطش النساء والأطفال.

كما نسمع عن تعامل الجيش الأموي مع أسارى أهل البيت وأنهم كانوا يقدمون لكلّ واحدة من النساء واليتامى والأطفال طعامًا محدودًا، قرصًا من الشعير وشيئًا من الماء، فكانت العقيلة زينب تؤثر الأطفال على نفسها، حتى أصيب جسمها بالضعف.

صحيح أنّ هذه القصص التي تروى تنبئنا عن عظمة هؤلاء الأشخاص وطيبهم وصدقهم، لكن المطلوب منا

أن نستفيد من كلّ ذلك درسًا في تعاملنا مع إخوتنا، حين نتعاون في عمل ديني أو اجتماعي، أن نكون حريصين أن تسودنا روح الانسجام والتفاهم والإيثار، روح التسابق نحو العمل والإنجاز، ليكون العمل أقرب وأخلص لله سبحانه وتعالى، وبهذا الخلوص منح الله الإمام الحسين وأصحابه هذه الدرجة العالية، حتى شهد الحسين في حقّهم (لا أَعْلَمُ أَصْحابًا أَوْفَى وَلا خَيْرًا مِنْ أَصْحابي).

فأصبحوا قبلة للزائرين، كلّ المؤمنين يتوجهون إلى زيارة الشهداء حينما يزورون الإمام الحسين عليه السلام، حتى الحرّ بن يزيد الرياحي، مع أنّ مدفنه بعيد عن مدفن الإمام الحسين، لكن الزائرين يحرصون على زيارة قبره، وهذا دليل أنّ الله سبحانه وتعالى أعطى هؤلاء المقام الكبير.

الفهرس

المقدمة..... 7

المظالم الكبرى في ذاكرة التاريخ..... 9

الشهادة الخالدة..... 29

مجالس عاشوراء للمعرفة والإرشاد..... 43

استثمار عاشوراء لتقدم المجتمع..... 53

روح العمل الجمعي في المؤسسات التطوعية..... 63